نحو ما تقوم الدولة فى التاريخ السياسى ما بين يوم وليلة ويحدث الانقلاب في نظام الحكم ما بين لحظة وأخرى ، إلا أننا نرى أنه لاينبغى أن يؤدى بنا هذا إلى أن نمعن فى الفصل بين العصر الأدبى وبين ما قد يكتنفه فى التاريخ العام من فترة سياسية ، فنميز بين هذا وذاك تمييزاً صارماً لامحل له ، ونضع بناء على ذلك فواصل حادة لاوجه لها ، انطلاقاً من فكرة استمرار بعض صور القديم متنقلا ما بين عصر أدبي سابق وعصر أدبى لاحق مما يدفع إلى الحكم فى نظر بعض الباحثين باعتبارهما فى مقياس التاريخ الأدبى عصراً واحداً لافرق بين أحد طرفيه والطرف الآخر ، أو لأن الفروق بين العصرين تتصاغر فى نظرهم حتى لاتنهض عندهم دليلا كافياً للتمييز بين العصرين . وكأن هؤلاء الباحثين لايرون العصر الأدبى يبدأ إلا بانقلاب خطير فى الأدب يقلب موازين النقد فيه أو مفاهيم الشعر والنثر رأساً على عقب ، وكأنهم يرون فوق ذلك أن هذا الانقلاب الأدبى ينبغى أن يقطع الصلة تماماً بين الأدب المستحدث والجديد فيه وبين الأدب السابق عليه وما فيه من قديم ، وتبتر العلاقة بتراً حتى لاتقوم بينهما قائمة ، فتندثر معالم القديم وراء ضباب العدم وكأنه عهد سحيق بائد ، أو ضلال مبين . بل كأن القديم الذى أفل والجديد الذى حل إنما هما عضوان فى جسمين منفصلين لايصل بينهما شريان أو يربط بينهما وريد فى حين أن الأدب لا يمكن كذلك ، ولكن هذا الفرض نفسه أو ذلك الشرط يتنافى مع طبائع الأشياء ، فماء الحياة فى الأدب متصل بصلات مدى الحياة اتصال المشاعر الإنسانية والعقل البشرى على اختلاف العصور والبيئات ، ولكن هذه الصلات لاتعنى أن طعم الماء هنا كطعم الماء هناك ، أو أن لونه عند هذا المنعطف من الغدير كلونه عند غيره ، فقد تختلف الأعشاب مابين بقعة وأخرى فيتلون الماء بلون أو بآخر ، ومن هنا يكون الخلاف بين جدول وجدول ، وإن انبثقا من منبع واحد تبعاً لاختلاف الطعم أو اختلاف اللون أو اختلاف غيرهما من الأسباب ، وعندئذ لايكون الذوقان بذلك ذوقاً واحداً ، ولا يكون اللونان فيه إلا لونين .